علما فى خدمة الفهم الأدبى . كان الانزعاج العقلى عقبة أمام الانسان الذى يألف نفسه ويألف غيره من الأشياء . وكان العقاد والمازنى يريان أن هذه الألفة لاتناقض فى شىء مانسميه الدهشة أو الاستغراب والاستثارة . ولعلنا لاننسى فى هذا المقام بعض الأشياء البسيطة التى توضح مانقول ؛ فقد تحدث المازنى عن فكرة الطبيعة واختلاف النظر إليها بين القدماء والمحدثين . وأهم ما يسترعى النظر هنا ما يقوله المازنى : إن القدماء لم تكن الطبيعة تروعهم . وكلمة الروع كلمة مهمة ، وهى مسوقة للتدليل على اختلاف أساسى بين موقفين . والمازنى لايقصد بالمتقدمين أولئك الذين مضوا ، وإنما يقصد نوعا من الطبائع يصح أن يوجد فى أى زمان .

والحقيقة أن الترويع من أوضح الأشياء فى كلام المازنى . ذلك أنه كان يلاحظ أن الترويع ضرب من المرض يعرف بما يقابله من الحنين الى العافية . ويجب أن نتذكر أن المازنى كان يتصور مهمته فى دنيا الثقافة التى يعبر عنها بكلمة التهذيب تنحصر فى معالجة هذا الشعور والتصدى له .

كان المازنى ـ كما أشرنا ـ يلاحظ أن كثيرا من الشعر يحيط به الخوف من بعض الجهات ، والخوف يعوق عن المحبة ، والانزعاج لا علاقة بينه وبين البهجة أو الخيال المرح أو الروح الساذجة التى كان يكبرها المازنى .

ومن الأشياء الطريفة أن نتذكر موقفه من أدب الآنسة مى زيادة ومن يشبهونها فى الطريقة والتأليف . والمازنى يقف فى حصاد الهشيم عند بعض النصوص التى لايظهر عليها إلا الفتنة والجمال والشوق والهيام والنظر والابتسام وما الى ذلك من ملامح المحبة الظاهرية . ولكن المازنى لاينخدع بشىء من هذا كله . ويعقب عليه فيقول إن ميا كالخائفة أن يفوتها شىء . وكأن الرقة التى تبدو فى عبارات مى أقرب الأشياء الى الخوف الذى لايكشف عن وجهه .

وهكذا كان تصور المازنى لما يسمى باسم الخيال شيئا أقرب الى التحرر من الخوف . ومن الأمور الواضحة فى حديث المازنى الحنين الشديد الى ما يسميه التطابق مع الطبيعة . هذا التطابق قد يكون مجرد محاولة تعوق دونها أشياء . ولكن المازنى كان يعبر عن الحاجة الى التطابق تعبيرا عاطفيا محبا . ولانستطيع أن نفهم فكرة التطابق مع الطبيعة فى كلام المازنى بمعزل عن الخلاص من الخوف . وهكذا نعود إلى الفكرة التى تتردد فى أماكن كثيرة من عقل المازنى . وليس الخيال المرح ،